

ثلاثة آراء فأيهما المصيب

عبد المجيد يوسف العنبري

التي ارتكزت عليها حضارة العرب ، التي طبقت جميع أنحاء العالم ، وإن هذه الآداب الغربية التي نريد أن يتسم بها أدبنا العربي الحديث ، ما هي إلا التفصيلات التي أضيفت إلى الجوهر والنواة التي هي عماد هذه الآداب وما هذه النواة إلا قبس من حضارتنا العربية التي كانت هدياً للغربيين الذين لازالوا يتخبطون في دياجير الجهل المطبق ، بينما العرب في أوج مجدهم ورفعهم .. وعليه فيجب أن نرجع إلى أدبنا العربي القديم ، ننهل من ينابيعه الفياضة ، ونقتات على موائده الشهية وثماره الناضجة . اتسم أدبنا بسمته لكي يكون نابضاً بالحياة مستطيعاً على تشييد البناء القوي العتيد للعرب .. وبين هذا الرأي ، الذي ينمى علينا أن نتشرف بحقيق الآداب التي أضنى عليها البشر في تقدمهم السريع ، كثيراً من الفن والروعة ، وصاغوها بما يطابق عصرهم ويقضي حاجات مدنيتهم وحياتهم التي تعقدت وتشعبت وتشابكت أوصالها ووسائلها .

هذا الرأي الذي يريد أن نقبع في جمودنا الثقيل . نستمد عصارة أدبنا وروحه من مجتمع يكاد أن يكون غريباً علينا بما اختلف علينا من الحوادث والوقائع ، وما يشوب حياتنا من تجديد في طرق حياتنا ونظم معيشتنا .. مجتمع قد سبقنا بمئات السنين فهو لا يستطيع أن يسد حاجتنا ، وأن يعبر عن خوالج أنفسنا التعبير الكامل .. لأن المدنية الحديثة قد استحدثت أشياء لم تكن معروفة ولا تخطر على بال أجدادنا العرب .. فكيف نوفق بين هذه الحاجة ، وبين الأدب القديم الذي تنقصه الاسماء الكثيرة ، والتعبيرات المتنوعة بين هذا الرأي وبين الرأي الآخر ، الذي يقول ، بأن الأدب العربي القديم ، أدب زائل لا يمكن له أن ينهض بين الأدب الحديث ويحتل مكانته السابقة . وما يجدينا الرجوع إليه وقضاء الوقت بين كتبه ومخطوطاته وهو

الأدب العربي ، هو أدب رائع وجميل ، حاز في سابقه مكانة رفيعة بين أدب العالم ، بل إن الأدب العربي القديم قد احتل المكانة الثانية بين آداب العالم القديمة .. أما في حاضرنا ، فإنه لا يزال يحبو ويتمتع . يكبو ، يقوم ، ثم يكبو .. وهو بين هذا وذاك يحتاجه عواصف هائجة من الآراء المضطربة ، تكاد أن تهدده وهولاً زال طفلاً رضيعاً .. فلا هو بمستقر على حال ، لينهض على قدميه .. ثم ينمو ويكبر ، فيتملى شامخاً رفيع المكانة . ويحتل منزلته السابقة .. فهو يضطرب بين آراء عيدة وتوجهات مختلفة .. وننتقى منها ثلاثة آراء تحتل حلبة السباق متصارعة ، متلاحمة .. فمنها ما تقطرف ، فتصل حداً خطراً . وتراجع فينمحي معها كل صبغة عصرية للأدب .. فالأدب يجب أن يحدد غايته وأهدافه ، والوسيلة التي يستعان بها لتحقيق هذه الأهداف . وأدبنا الحاضر يضطرب بين ثلاثة آراء .. رأى يبعد بنا جداً حتى ليطمس من هذا الأدب كل طابع عربي .. فهو يلح على أن نطبع أدبنا العربي الصميم بطابع غربي .. فنستمد وحيه من هذا السبيل .. وننتقى من أدبنا كل عنصر عربي شرقي .. وهذا الرأي ينكر على أبناء العربية ، كل الأفكار . أن يعود إلى الأدب العربي القديم . فيتبصر به ، ويرى أى شأو وصل إليه أدياؤنا السابقون وما يحويه هذا الأدب من الحكمة والجمال والذوق الفني .. يريد هذا الرأي أن تنزوى كل هذه الآداب ، في زاوية النسيان والإهمال .. وأن لا نستمد أى وحي منها .. لأنها لا تطابق عصرنا ولا تعالج واقعنا .. أما الرأي الثاني ، فهو يرى في هذا الأدب الجديد ، الذي تنحدر إلينا أصوله من الغرب . وإن هذا النوع الجديد من الأدب ، لخطر على عاداتنا وتقاليدينا ، وروحنا العربية الصميعة .

ونحن إن أردنا أن نقوم لنا كيان صلب ، فما علينا إلا أن نعتمد على أدبنا القديم ، ونستمد منه كل المقومات

لن يحقق مصلحة لمصرنا ، ولن يسد فراغاً هائلاً في حياتنا . أليس من الخير لنا ولأمتنا لو انصرفنا إلى الأدب الحديث الذي تتمهده دول الغرب وترسمنا خطواته واقتبسناه ، وطبعنا به أدبنا فيغدو أدبا عصرية كامل الصفات محققاً لحاجات حياتنا وهو بالتالي أدب رفيع شيق يستحق كل عناية وجهد .

بين هذا الرأي وذاك ، يتوسط رأى آخر لا هو بالندام على ما أخذناه ودرسناه من الأدب الغربي القديم ولا على ما قبسناه من الأدب الغربي الحديث فهو لا يرى بأساً في أن نعود إلى أدبنا القديم فنرى فيه حياة أجدادنا مصورة أصدق تصوير ونتعلم منها الاخلاق الفاضلة والسبيل الذي اعتمدوا عليه فيما وصلوا إليه من رقى وحضارة فهم أجدادنا ، تجرى في عروقهم نفس الدماء التي تجرى في عروقنا وحياتهم ملأى بالحوادث والاخبار والعادات التي تسكاد تشابه ما لدينا ، إلا فيما طرأ عليها من تبدل في اقتباسنا من الغرب ، ولولا ما كانوا يمتازون به من إيمان عميق وتضحية وإيثار واعتماد على النفس لكانوا شهباً لنا ، فما أكبرها فائدة نجنيها . حين نطلع على هذا الإيمان وتلك التضحية وذلك الإيثار ، تلك الصفات الحميدة التي جعلتهم كالبنيان المرصوص ، يشد بعضهم بعضاً ، فنقتدى بهم ونترسم خطواتهم ، حيناً حملوا على أكتافهم هذا العبء الجسيم في سبيل رفع مكانتهم وإعلاء شأنهم وتأدية رسالتهم ، وقد تحقق لهم كل ذلك . فما هو السحر الذي ساعدهم على ذلك .

هذا هو الغرض الذي يحفزنا إلى الاطلاع على أدبنا القديم بحيث يسطر في صفحاته ، روائع الاخبار ، وأعظم صفحات المجد والرقى ، ففسير على هداها ، مما يساعدنا على إقامة أركان حضارتنا ، وتدعيم نهضتنا — نطلع على السمين منها ونترك الغث الهزيل ، ففي هذا خير بل في ذلك صلاح وتقويم ، أما الأدب الحديث فمن الواجب علينا أن نعرف عنه الشيء الكثير ، لأن ألوانه مأخوذة من مطالب المدنية الحديثة ، التي جددت في حياتنا . . وزادت في علاقتنا ، وطورتها كثيراً وقاربت بين البلدان المتباعدة ، فكادت أن تكون قطرا واحدا بما فاض به العلم ، من مخترعات جليلة الشأن والنفع فأية خسارة تلحقنا لو عرفنا عن كل ذلك ، وانطوينا على أدبنا القديم ، نجتره اجتراراً . . نجتر «الطالح والصالح» لأنه أدبنا القديم ، وهو أدب رفيع يحقق لنا حياة أدبية زاهرة ، فأية حياة يحققها أدب يعالج حياة ماضية لقد لفها الزمان بين طياته ، وأصبحت ذكرى وخيالا أكثر مما هي دنيا قامت . . إن هذا الرأي الوسط والذي نعتقد أنه هو خير الآراء ، يقول : ألا نرى إلى الأمم التي استجابت لنداء المدنية وغيرت في أدبها ورعته وجعلته مطاوعاً بيديها ، محورة فيه ، بما يوافق وطبائع العصر والتجديدات التي تطرأ عليه ، فلا الرجوع إلى القديم كلية ولا صبغ أدبنا بصبغة غريبة هو الرأي المجدى لنهضة أدبنا أى الاعتدال ، بين هذا وذاك هو الرأي المصيب .



- طلب أحد الأشخاص من بقال في « جلاسجو » إعطاه جبناً بينس فقال البقال إنه لا يبيع بهذا المبلغ الزهيد . فقال الزبون : إذن إعطني بينسين وسرعان ما لبي البقال طلبه ، فأخذ الزبون سكيناً وشطر قطعة الجبن نصفين متساويين ، وأخذ أحدهما وأعطى البقال بنساً وقال وهو ينصرف هذا هو ، إنك رجل كسلان .
- يجب أن يسقط من حساب الأمة هؤلاء الأشخاص الذين يعضدون كل حكومة . ويشايعون كل دولة . ويعبدون القوة في أى مظهر ظهرت . « سعد زغلول »
- لا تقطع صديقاً وإن كفى ولا تركن إلى عدو وإن شكر .
- عبد الشهوة أذل من عبد الرق .